

٧- القرآن الكريم في كتاب النثر الفني

« وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله ،
ويحمل الرجس على الذين لا يعقلون »
[قرآن كريم]

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

طلع زكي مبارك ببقاياه كما يطلع الشيطان بقرنيه . لا يستجيب
إلى خير ، ولا يبصر هدى ، ولا يدعو إلى رشد ، ولا يأتي
إلا بإثم أو إفك أو ضلال
وبضاعة زكي مبارك كلام بلقيه لا يدري أعليه يكون أم له ،
بل بلقيه بطن أنه له فإذا هو عليه ، وهذا من خذلان الله له ،
ومن يحارب الله مخذول .

إن كان أحد عدو نفسه فذلك زكي مبارك . يبلغ منها
بجهله وغروره ما لا يبلغ الخصم بمقله . يريد أن يخفى معايبها
فيبدل عليها ، ويريد أن يدرك عنها فيبدى عن مقاتلتها
لقد كتب يدافع عن نفسه فأمكن منها في كل موقف من
مواقف الدفاع :

أمكن منها حين صاح صرختين باستغيت بالذكور طه حسين ،
وما ذا يملك له الذكور طه وهو يجمع على نفسه من الاعترافات
ما يوبن أقله ويملك

وأمكن منها حين اعترف متطوعاً مختاراً بأن في كتابه آراء
في إعجاز القرآن أخطر من الآراء التي روينها له . وهو يعلم أي
آراء روينها ، ويعلم أن ما كشفناه للناس من آرائه قد هدمه
وهده ، ولا زال يحضه ويقض منه المضاجع . فأى نفع له في أن
يقول إن هناك في كتابه ما هو شر وأخطر ، اللهم إلا أن يكون
أراد أن ينسب غيره إلى النباوة ، فنسب نفسه إلى النباوة والحق
معاً . فإن النبي الأحق هو وحده الذي يريد أن يدفع عن نفسه
فيعترف عليها اعترافاً كهذا فيه كل التأييد لما قال الخصم ، وفيه
بعد ذلك مزيد

وأمكن من نفسه حين أكد هذا الاعتراف بقوله إنه
لو شاء لذل الخصم على تلك الآراء التي هي شر وأخطر ! ونحن
نعرف من كتابه كل ما يخاف كما قد أئذناه ، ومع ذلك
فما الحاجة إلى تلك الآراء وقد دمنته أخواتها دمنة سيمرف بها
ما عاش ؟ ألا يكفيه من الوسم ما بلغ العظم ؟ ألا يكفيه من الغل
ما أحاط بالعنق ؟ أم هو يريد غلاً يأخذ منه بالخناق حتى يكتم منه
الأنفاس ؟ لينتظر فسيرو أنا نعرف منه ومما كتب ما لا يختر
له بهال .

وأمكن من نفسه حين زعم لنفسه الشجاعة والصرامة
ونفاها عن غيره . وأي صراحة يدعى أو أي صراحة يبغى بعد
الذي كان ؟ لقد صارحنه رأينا فيه ، وأنصفناه إذ لم نقصر
على الادعاء كما يفعل هو مع الناس ، بل جئنا على الدعوى بالدليل

تحتم على الكتاب العرب في الأفطار الأخرى أن يصححوا
نظرتهم إلى الفكرة (الإسلامية العربية) على اعتبار أنها وحدة
لا تنجزاً

بقي بعد ذلك أن يعالج الأدب مسائل الإصلاح الاجتماعي
علاج الباحث المحقق ، فكلنا ما برح في مثل هذه المسائل
كحاطب ليل ، على حين أنها من صميم الأدب الحديث
ولعل اتجاه الأدب العربي بعد الحرب القائمة يكون منصرفاً
إلى الدعوة إلى زيادة الإنتاج القومي والأخذ بأسس الاقتصاد
الصحيح . وهذه كلها نقاط مجلدة نرجو أن تسمح لنا الظروف
بملاحتها في شيء من التفصيل .

منصور مجاب الله

(الرمل)

عرباً لا شرفيين ولا فراعنة » والحق أن المصريين لا يستطيعون
أن يجردوا أنفسهم من ميراثهم الفرعوني القديم ، ولكن هذا
لا يحملهم على الزورار عن القافلة العربية والتخلف عن الركب
الإسلامي العظيم ، ولا نستطيع أن نفرق بين النزعتين العربية
والإسلامية ، فقد كان الإسلام على فطرته وبساطته يوم كانت
الأمبراطورية الإسلامية عربية خالصة ، ولم تدخل المذاهب
الملية المعقدة إلا حين دالت دولة العرب وخرج الأمر عن أيديهم ،
وكان العرب كذلك أعرف الناس بالتسامح الديني لأن القرآن
الكريم نزل بلسان عربي مبين ، فلما آل الأمر إلى الأعاجم
جهلوا معنى التسامح فكانت الحروب الصليبية الفاشمة
فإذا صحح الكتاب المصريون نظرتهم إلى « الفرعونية »

فوق رأسه ، وكان خيراً له ألا يقربها ، فإذا قد قاربها فقد كان أنجى له ألا يتورط فيها

ومحاولة الرجل الخلاص بالكذب أو بالكبارة أو بالمناظرة والمهارة لا تنفع ولا تجدى . فليس ينفعه مثلاً أن يلجأ إلى حيلته القديمة التي نهينا إليها في التمهيد ، فيسمى الأشياء بغير أسمائها أو بضد أسمائها ، كما يفعل من تسمية العلم جهلاً والجهل علماً ، أو الإسلام إلحاداً والإلحاد إسلاماً وإيماناً . فهذه الحيلة التي قد تجوز على الناس عند انبهام الأمر ، لا يمكن أن تجوز على أحد في البسائط الواضحة والبداهيات المسلمة

وموضوع الخصومة بيننا وبين هذا الآفك هو في دائرة البسيط البديهي ؛ دائرة المسلم المعروف من الدين بالضرورة ؛ دائرة الأمور التي هي فصل بين الإسلام وغير الإسلام ، بين المسلم وغير المسلم ؛ دائرة إعجاز القرآن ، وأن القرآن كلام الله لا كلام البشر ، وأن الأنبياء والرسل ليس لهم من الدين إلا تبليغه ، وأن وحى الله إليهم ليس كهذا الملقى يسميه الشعراء والفكرتون إلهاً . هذه الأصول المسلمة عند المسلمين كافة ، المعلومة من الدين بالضرورة هي موضوع الكلام بيننا وبين زكي مبارك ، وموضوع الخصومة . وهو يشكرها ويكبر فيزعم أننا نفتري عليه الإلحاد

المسلمون كافة يقولون إن القرآن معجز ، ويفهمون من إعجازه إعجاز الأسلوب قبل كل شيء ، وهو يقول إن القرآن غير معجز وإن أسلوبه أسلوب عادى يقدر عليه جميع الكتاتين . ثم يزعم أنه قد أقنع المثقفين بإعجاز القرآن !

إن إنكار إعجاز الأسلوب يستتبع حتماً إنكار إعجاز المعنى إلا في المواطن التي يكون فيها المعنى من النبوءات التي تحققت بالفعل ، أو يكون من العمليات التي يحققها البحث العلمى على مر الزمان . فكثير مثلاً من قصص القرآن كان معروفاً ، إن لم يكن للعرب فللنصارى واليهود في التوراة والإنجيل . ومن السهل على المكابر أن يدعى أن محمداً درس أو أن محمداً سمع . وقد قيل ذلك بالفعل . قالوا فيا حكي الله عنهم : « لو نشاء لقنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين » . حتى لو لم يكن القصص معروفاً لمسهل على المكابر بعد معرفته أن

لتمكنه من إبطال الدليل إن استطاع . واجهناه واجبهناه بالتهمة ودليلها وهو حى يرزق يستطيع أن يدفع عن نفسه : بالحق إن كان لديه ، أو بالباطل كما يفعل الآن . ألا يقارن هذا بما فعل هو مع الشيخ مصطفى القاياتى رحمه الله ؟ زعم في بعض ما كتب ما لم يكن ليجرؤ على زعمه لو كان الشيخ القاياتى حياً ، وما ليس يصدقه فيه أحد ، من أنه كان - أى زكى مبارك - وهو تلميذ يحضر لمصطفى القاياتى محاضراته وهو أستاذ ثم لا يستحي زكى مبارك بعد هذا أن يحشر نفسه في عداد الصرخاء الأشراف !

هكذا أمكن زكى مبارك من نفسه ، كما أمكن منها حين سمي ظهوى عليه بالحجة طنبياً ، وحين علل هذا الطغيان بعلى أن الرقابة تمنع نشر المجادلة الدينية ! أما إنه الحق يطنى على الباطل ولؤمه ، لا الحق يمنع من ظهوره الرقيب . ومع ذلك فاحاجة زكى مبارك إلى المجادلة مطلقاً إن كان رأيه في القرآن وإعجازه رأى المسلمين من لدن عصر النبي الكريم إلى اليوم ؟ ما حاجته إلى المجادلة الدينية التي يمنع منها الرقيب ، إن كان يمكنه التوفيق بين النصوص التي أوردناها عليه من كلامه وبين عقيدة المسلمين في القرآن ؟ إن أحداً لا يعرف أن الرقابة تمنعه من تأويل كلامه إلى ما يطابق عقيدة المسلمين ويوافق إجماع علمائهم . أما الجدل الذى يراد به تبرير إنكار إعجاز القرآن أو إثبات أن القرآن من كلام البشر فنعم منع الرقابة منه ، ونعم عقاب القانون عليه . فهل هذا هو الجدل الذى كان يريد زكى مبارك والذى لا يجد إليه السبيل ؟ إذن فقد أراد أن يمتدح عن نفسه فاعترف عليها حين أراد أن يحتج هذا الاحتماء بالرقيب ومع ذلك فالمسألة بيننا هي رأى زكى مبارك في القرآن لا دليل زكى مبارك على ذلك الرأى . فإذا كانت الرقابة تمنعه من الجدل عن رأيه بالدليل فذلك شهادة منه ومن الرقابة أن رأيه ليس مما يجوز عنه الدفاع ، كما لا يجوز الدفاع مثلاً عن رأى زاعم لو زعم أن مصر لا يحق لها الاستقلال

إن هذا النقيض لا يستطيع أن يفهم أنه ينال من نفسه أكبر النيل بدفاعه عنها هذا الدفاع . إنه كالفرق في الحماة لا يزيده جهاده للخلاص منها إلا غوصاً فيها حتى يلتهم سطوحها

يدعى أنه كان غير مجهول ، بل لصعب جداً على غير المكابر أن يطمئن إلى أنه لم يكن معروفاً من قبل ، ولاستحالة إثبات ذلك إثباتاً يرتفع معه كل شك ، إن لم يكن في عصر النبي ففي ما بعد عصر النبي من العصور . فما الذى حال بين المنصفين من العرب في زمن النبي صلوات الله عليه وبين مثل هذا الشك في إعجاز القرآن وفي رسالة النبي ؟ إعجاز الأسلوب ! إعجاز الأسلوب حال بينهم وبين الشك

إن المعنى بعد أن صار معروفاً لهم كان يمكنهم التعبير عنه بالطبع ، ولكن لا بأسلوب القرآن ولا بشيء يشبهه بأسلوب القرآن . وهذا بعض وجه الحجة عليهم في مثل قوله تعالى : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بمثل سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » . وسنعود فيما نستقبل من الكلمات إلى موقف صاحب الكتاب من هذه الآية بالذات كمثل ناطق بسوء فهمه وخلطه وإحاطته حين يعرض للقرآن . أما الآن فيكفى أن ننبه إلى أن التحدى في الآية الكريمة بقوله تعالى (مثله) وفي غيرها من الآيات إنما هو تحدى بالأسلوب قبل كل شيء ، لأنهم بعد أن سمعوا بعض السور وعرفوا معناها كانوا يستطيعون أن يزعموا أن المعنى ملك للجميع ، أخذوه هم كما أخذ محمد ، ويمبرون عن المعنى بأى أساليبهم يرون أنه يقوم لأسلوب القرآن . ولو فعلوا وكان ذلك ممكناً لسقط التحدى به إلى الأبد . لكنهم لم يفعلوا ولم يكونوا ليفعلوا ، لأنهم كانوا إزاء أسلوب لا يمكن تحديه ، لا كما يزعم هذا الأفاك الأحق إنه أسلوب في مقدور جميع الكتابيين

فالذى ينكر إعجاز الأسلوب مثل صاحب النثر الفنى يلزمه حتماً أن ينكر إعجاز بعض القرآن على الأقل كالتقصص القرآنى أو بعبارة أخرى ، أسلوباً ومعنى ، لأنه يستحيل عليه وقد أنكر إعجاز الأسلوب القصصى أن يزعم أن القصص نفسه معجز بالمعنى أو بالروح ، كما يزعم أنه أفنق المثقفين بهذا النوع من الإعجاز في القرآن . وإذا سقط التحدى بقصص القرآن سقط التحدى بسورة من مثل القرآن ، لأن كثيراً من قصص القرآن سور

بأسرها ، أو في قدر سورة من غير القصص ، وإذن يسقط التحدى بالقرآن بأسره ، لأن الله سبحانه حين تحدى عباده بسورة من مثل القرآن لم يقيدهم بأى قيد في اختيار السورة . فلو اختاروها سورة قصص ، أو جاءوا بقصص في قدر سورة ولو قصيرة من غير القصص ، وكان ما جاءوا به يلتبس بالقرآن من حيث الأسلوب ، لكانوا قد كسروا التحدى وبطلت معجزة القرآن بين العرب ، فضلاً عما جاء بعدهم ممن ليس له بصرفهم بالفساحة والبيان

فانظر في هذا وتأمله جيداً وحكم عقلك ومنطقك ما شئت ، تجد أن إنكار إعجاز الأسلوب يؤدي حتماً إلى إنكار الإعجاز كله في القرآن كله ؛ فإذا تبين لك هذا فاحكم حكمك على صاحب النثر الفنى ، منكر إعجاز أسلوب القرآن ومدعى إقناع المثقفين بإعجاز القرآن من ناحية الروح

إن الرجل يلعب ويلهو بالخطير العظيم من الحق ، ويكذب ويأفك على الناس وعلى الله رب الناس . لكن لا عجب فهو يخبرنا أنه لا يخاف الله إلا تأديباً ، فهو لا يستشعر خوفاً حقيقية من الله سبحانه . فإذا يعممه من الكذب والافتراء على الله ؟ على أننا لم نفرغ بعد من هذا الأفاك

محمد أحمد الفمراوى

وزارة الدفاع الوطنى

تقبل العطاءات لغاية ظهر يوم
٢ أغسطس سنة ١٩٤٤ عن توريد
أسلاك ومنصالات وخلافه ، والشروط
بإدارة المشتريات والعقود وثمن النسخة

٢٥٠ ملياً ٢٣٥٢